

المحاضرة الثانية: نظرية التحليل النفسي

عندما ظهر علم النفس كمبحث مستقل في ألمانيا في منتصف القرن التاسع عشر حدد هدفه في تحليل الشعور لدى الإنسان الراشد السوي. وكان هدف علم النفس هو اكتشاف العناصر الأساسية في الشعور وتحديد الكيفية التي تتكون بها مركباته، وكثيرا ما كان يشار إلى علم النفس بوصفه الكيمياء العقلية. وجاء هجوم فرويد على سيكولوجيا الشعور التقليدية من زاوية مختلفة. فقد شبه العقل بجبل الجليد يمثل الجزء الصغير الطافي منه على سطح الماء منطقة الشعور على حين يمثل الجزء الأكبر الذي لا يطفو على صفحة الماء منطقة اللاشعور وغي هذه المنطقة الفسيحة من اللاشعور توجد الدفعات الغريزية ، والشهوات والأفكار والمشاعر المكبوتة.

(عالم سفلي واسع من القوى الحيوية غير المرئية تمارس سيطرة طاغية على أفكار الإنسان وأفعاله الشعورية.) ومن هنا يصبح علم النفس الذي يقتصر في تحليله على الشعور غير كاف لفهم الدوافع الكامنة لسلوك الإنسان.

مؤسس النظرية: سيجموند فرويد ولد في مورافيا في السادس من مايو سنة ١٨٥٦ ومات في لندن في ٢٣ من سبتمبر سنة ١٩٣٩. حاصل على إجازة الطب، واهتم بعلم الأعصاب مما قاده الى التخصص في علاج الاضطرابات العصبية. درس على يد الطبيب الفرنسي " جان شاركوه" لتطوير مهاراته الفنية في استخدام التنويم المغناطيسي لعلاج الهستيريا، لكنه لم يكن مقتنعا بها فطور مع الطبيب جوزيف بروير ١٨٩٥ طريقة أخرى في علاج الهستيريا تقوم على العلاج بالأسلوب الكلامي.

وفي الحديث عن نظرية التحليل النفسي علينا التنبه إلى وجود ثلاث معاني للنظرية هي

- المعنى الأول: هو النظرية العامة لفرويد وهي تهتم بالدوافع وبنيان الشخصية.
- المعنى الثاني: يختص بالنظرية التي تتناول الطريقة وتقدم مجموعة من العمليات لتناول البيانات والخروج بالاستنتاجات، وتستخدم التداعي الحر وتفسير الأحلام والأعراض في إطار تحليلي، وتهتم بميكانيزمات الدفاع النفسي كالإزاحة والتكيف والإسقاط.
- المعنى الثالث: هي نظرية في العلاج تتناول على وجه التحديد ما يحدث في الجلسة العلاجية بين المعالج والمريض، وما يقع فيها من ظواهر مثل الطرح والمقاومة وغيرها من التداخلات العلاجية ومصاريف العلاج وضبط العلاقات بين المعالج والمريض وإنهاء العلاقة العلاجية.

النظرية العامة

المحور الأول :- أبنية الشخصية

تتكون الشخصية من ثلاث نظم أساسية هي:

(أهو : Id - الأنا Ego - الأنا الأعلى Super ego) بالرغم من أن جزء من هذه الأجزاء للشخصية الكلية له وظائفه وخصائصه ومبادئه التي يعمل وفقها، ودينامياته وميكانيزماته، فإنها جميعاً تتفاعل معاً تفاعلاً وثيقاً، بحيث يصعب إن لم يكن مستحيلاً فصل تأثير كل منها. فالسلوك يكون دائماً في الغالب محصلة تفاعل بين هذه النظم الثلاثة، ونادراً ما يعمل أحد هذه النظم بمفرده بدون النظامين الآخرين.

أولاً- **الهو Id:** هو النظام الأصلي للشخصية، وهو الكيان الذي يتميز منه الأنا والانا الأعلى. ويتكون هو من كل ما هو موروث وموجود سيكولوجياً منذ الولادة بما في ذلك الغرائز. انه مستودع الطاقة النفسية، كما أنه يزود العمليات التي يقوم بها النظامان الآخران بطاقته. ويطلق فرويد على هو اسم " الواقع النفسي الحقيقي " لأنه يمثل الخبرة الذاتية للعالم الداخلي ولا يتوفر له أية معرفة بالواقع الموضوعي.

*مبدأ اللذة: هو لا قبل له على تحمل تزايد الطاقة التي يعانيتها بوصفها حالات من التوتر لدى الكائن الحي سواء بسبب تنبيه خارجي أو تهيجات داخلية. فان هو يعمل بطريقة من شأنها تفريغ التوتر مباشرة وعودة الكائن إلى مستوى ثابت منخفض ومريح من الطاقة. ويسمى مبدأ خفض التوتر الذي يعمل وفقه " مبدأ اللذة".

ولكي يحقق هو هدفه في تجنب الألم وتحقيق اللذة فان عمليتين تعملان تحت أمرته وهما " الفعل المنعكس" و " العمليات الأولية". فالأفعال المنعكسة هي ارجاع ولادية وآلية كالعطس، والغمز بالعين. وهي تؤدي إلى خفض التوتر مباشرة. ويولد الكائن البشري مزود بعدد منها لمواجهة الأشكال البسيطة نسبياً من الاستثارة.

أما العمليات الأولية فتتضمن رجعاً سيكولوجياً أكثر تعقيداً فهي تحاول تفريغ التوتر بتكوين صورة لموضوع من شأنه أن يزيل التوتر، مثال ذلك العملية الأولية تزود

الشخص الجائع بصورة ذهنية عن الطعام. وخير مثال للعملية الأولية لدى الأشخاص الأسوياء هو أحلام الليل. التي يعتقد فرويد أنها تمثل دائماً تحقيق أو محاولة تحقيق رغبة. كما تمثل هلاوس المرضى الذهانيين وأوهامهم نماذج للعمليات الأولية. إن هذه الصور الذهنية المستهدفة لتحقيق الرغبة هي الواقع الوحيد الذي يعرفه " الهو " وطالما أن العملية الأولية غير قادرة على خفض التوتر فالجائع لا يمكنه أن يأكل الصور الذهنية للطعام. ونتيجة لذلك تظهر عمليات نفسية ثانوية جديدة، ويتشكل نظام جديد للشخصية ويبدأ " الأنا " بالتكوين.

ثانياً- الأنا : **Ego** يخرج الأنا إلى الوجود لان حاجات الكائن البشري تتطلب تعاملات مناسبة إزاء عالم الواقع الموضوعي. فالشخص الجائع عليه أن يبحث عن الطعام وان يحصل عليه وان يأكله حتى يستطيع التخلص من التوتر الناتج عن الجوع. وعليه فان الأنا تدفع الفرد إلى المضاهاة بين الصور الذهنية الموجودة في الذاكرة عن الطعام بمنظر الطعام أو رائحته كما يصلان إليه عن طريق حواسه. إن الفرق الأساسي بين الهو والانا هو أن الهو لا يعرف إلا الواقع الذاتي للعقل، في حين انالانا يفرق بين الأشياء التي توجد في العقل والأشياء التي توجد في العالم الخارجي.

*مبدأ الواقع : إن الأنا يطيع مبدأ ويعمل وفق العمليات الثانوية، وان غاية مبدأ الواقع الحيلولة دون تفريغ التوتر حتى يتم اكتشاف الموضوع المناسب لإشباع الحاجة. إن مبدأ الواقع يرجئ مبدأ اللذة مؤقتاً لحين توفر الموضوع المرغوب فيه ومن يخفض التوتر. إن الذي يتناوله مبدأ الواقع في حقيقة الأمر هو " هل الخبرة حقيقية أم زائفة؟، هل لها وجود خارجي أم لا؟ " ، على حين يقتصر اهتمام مبدأ اللذة على احتمال إن الخبرة مؤلمة أو سارة.

إن العملية الثانوية هي التفكير الواقعي. فألانا يكون بواسطة العملية الثانوية خطة لإشباع الحاجة، ثم يختبر هذه الخطة بواسطة فعل ما. وهذا ما يسمى " باختبار الواقع " . لذا يعد الانا هو الجهاز الإداري للشخصية لانه يسيطر على منافذ الفعل والسلوك، ويجب أن يكون واضحاً في أذهاننا ما يلي:

١-الأنا هو ذلك الجزء المنظم من الهو. وانه يخرج إلى الوجود ليحقق أهداف الهو ولا يمنعها. وان قوته مستمدة من الهو، والانا ليس له وجود منفصل عن الهو. كما انه لا يحقق على الإطلاق الاستقلال التام عن الهو .

٢- دور الأنا التوسط بين المطالب الغريزية للكائن الحي وظروف البيئة المحيطة به.

٣-أهدافه الأنا الأساسية هي المحافظة على حياة الفرد والعمل على تكاثر النوع. ثالثاً- الأنا الأعلى **Super ego**: هو الدرع الأخلاقي للشخصية، وهو يمثل ما هو مثالي وليس ما هو واقعي، وينزع إلى الكمال بدلاً من اللذة. ويتصرف بناءً على القيم الأخلاقية التي يملئها ممثلوا المجتمع. ويقسم إلى:

١-الأنا المثالي: الذي يتشكل من مجموع الاثبات التي يتلقاها الطفل جراء قيامه بالأفعال الحسنة.

ب-الضمير: الذي يتشكل من مجموع العقوبات التي يتلقاها الطفل جراء قيامه بالأفعال السيئة.

إن الأنا الأعلى بوصفه الحكم الخلقى الموصل للسلوك ينشأ استجابة للثواب ، والعقاب الصادر من الوالدين. لكي يحصل الطفل على الثواب ولكي يتجنب العقوبات فانه يتعلم أن يقود سلوكه في الاتجاهات التي يحددها الوالدان. وكل ما يدينه الوالدان ويعاقبانه على إتيانه ينزع إلى أن يستدخل داخل ضميره، وكل ما يوافقان عليه ويثيبانه على إتيانه ينزع إلى أن يستدخل داخل أناه المثالي، ويطلق على الميكانيزم (الحيلة) التي تتم بها عملية الاستدخال هذه "الاستدماج".

إن الضمير يعاقب الشخص بان يجعله يشعر بالإثم. ويثيب الأنا المثالي الشخص بان يجعله يشعر بالفخر بنفسه. ويتكوين الأنا الأعلى يحل الضبط الذاتي محل الضبط الصادر عن الوالدين.

*الوظائف الأساسية للانا الأعلى:

١- كف دفعات الهو، وبخاصة تلك الدفعات ذات الطابع الجنسي أو العدوانية، حيث أن هذه الدفعات هي التي يقابل التعبير عنها من المجتمع بأشد الادانه والرفض.

٢- إقناع الأنا بإحلال الأهداف الأخلاقية محل الأهداف الواقعية.
٣- العمل على بلوغ الكمال، أي أن الأنا الأعلى يميل إلى معارضة الهو والانا معاً،
والى تشكيل العالم على صورته. إلا انه يشبه الهو في انه غير منطقي، ويشبه الأنا
في محاولته ممارسة التحكم في الغرائز. ويختلف عن الأنا في انه لا يحاول فحسب
إرجاء الإشباع الغريزي، بل أنه يحاول الحيلولة دونه على الدوام.

الحصر: تتحكم في ديناميات الشخصية الى حد كبير ضرورة اشباع حاجات الفرد
بالاتصال بموضوعات العالم الخارجي، فالبيئة المحيطة تمد الكائن الحي بمصادر
اشباع الحاجات، الى جانب احتوائها على مناطق خطرة وغير آمنة، فهي قد تهدد
كما قد تشبع . وللبيئة القدرة على احداث الالم وزيادة التوتر، كما ان لها القدرة على
تحقيق اللذة وخفض التوتر. وقد تحدث الاضطراب.

ان استجابة الفرد المعتادة للتهديدات الخارجية بالالم والدمار الذي لا يكون متأهباً
لمواجهته هي أن يحس بالخوف، فالشخص المهدد يكون شخصاً خائفاً. ان غلبة
التنبه الزائد الذي يعجز الانا عن السيطرة عليه، يؤدي الى غرق الانا في فيضان
الحصر. ويعرف فرويد ثلاث انماط من الحصر:

- ١- حصر الواقع او الخوف من الاخطار الواقعية في العالم الخارجي.
- ٢- الحصر العصابي وهو الخوف من عدم القدرة على السيطرة على الغرائز.
- ٣- الحصر الاخلاقي وهو الخوف من الضمير. فالشخص الذي ارتقى أنه
الاعلى في التطور، يميل الى الشعور بالإثم عندما يفعل شيئاً أو حتى يفكر
في ان يفعل شيئاً مخالفاً للمعايير الأخلاقية التي تربي عليها.
ان وظيفة الحصر هي تحذير الشخص من خطر وشيك الوقوع، إنها إشارة للانا
مؤداها انه مالم يتخذ إجراءات مناسبة فان الخطر قد يتزايد حتى يقهر الأنا. وعندما
ينشأ الحصر فانه يدفع الشخص إلى القيام بشئ ما. فقد يهرب من المنطقة التي
تهدهه، او يكف الدفعة الخطرة، أو يطيع صوت الضمير.
ويطلق على الحصر الذي لا يمكن معالجته بالطرق المجدية اصطلاح (صدمي).
العمليات الدفاعية للانا:

يرغم الانا احياناً تحت ضغط الحصر البالغ إلى اتخاذ اجراءات متطرفة من الضغط ويطلق على هذه الاجراءات اسم العمليات أو الميكانيزمات الدفاعية، أو حيل الدفاع النفسي مثل : (الكبت، الاسقاط، تكوين رد الفعل، التثبيت، النكوص....الخ) وتتميز جميع عمليات الدفاع النفسي بسمتين مشتركتين:

١- انها تنكر وتزور وتحرف الواقع.

٢- انها تعمل لا شعورياً بحيث لا يفتن الشخص إلى ما يحدث.

ميكانيزم الكبت :

لقد قسم فرويد العقل إلى ثلاث مناطق الشعور ، وماقبل الشعور، واللاشعور.